وذلك إن الله عز وجل ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها ، كما ينبت الحب في الثرى بالماء ، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور ، وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض ، فيقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره فترجع كل روح إلى جسدها ، فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر الله عز وجل ﴿مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ وقال الله تعالى : ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أنا أول من تنشق عنه الأرض» ، وقوله عز وجل : ﴿ذلك حشر علينا يسير﴾ أي تلك إعادة سهلة علينا ، يسيرة لدينا كما قال جل جلاله ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ان الله سميع بصير﴾ وقوله جل وعلا ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهولنك ذلك كقوله ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ أي ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى ، وليس ذلك مما كلفت به . وقال مجاهد وقتادة والضحاك ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ أي لا تتجبر عليهم ، والقول الأول أولى ، ولو أراد ما قالوه لقال : ولا تكن جباراً عليهم ، وإنما قال ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ بمعنى وما أنت بمجبرهم على الإيمان إنما أنت مبلغ ، قال الفراء : سمعت العرب تقول جبر فلان فلاناً على كذا بمعنى أجبره ، ثم قال عز وجل ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ أي بلغ أنت رسالة ربك فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده ، كقوله تعالى : ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ وقوله جل جلاله ﴿فذكر انما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر﴾ ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ولهذا قال تعالى ههنا ﴿وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ كان قتادة يقول : اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يا بار يارحيم .

آخر تفسير سورة قٓ والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾
يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

قال شعبة بن الحجاج عن سماك عن خالد بن عرعرة أنه سمع علياً رضي الله عنه ، وشعبة أيضاً عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل أنه سمع علياً رضي الله عنه ، وثبت أيضاً من غير وجه عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه صعد منبر الكوفة فقال : لاتسألوني عن آية في كتاب الله تعالى ، ولا عن سنة عن رسول الله إلا أنبأتكم بذلك ، فقام إليه ابن الكواء ، فقال : ياأمير المؤمنين مامعنى قوله تعالى ﴿والذاريات ذروا﴾ قال علي رضي الله عنه ، الريح ، قال ﴿فالحاملات وقرا﴾ قال رضي الله عنه : السحاب ، قال ﴿فالجاريات يسرا﴾ قال رضي الله عنه : السفن ، قال

﴿فالمقسمات أمراً﴾ قال رضي الله عنه : الملائكة .

وقد روي في ذلك حديث مرفوع ، فقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إبراهيم بن هانىء ، حدثنا سعيد بن سلام العطار ، حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ، قال : جاء صبيغ التميمي الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : ياأمير المؤمنين ، أخبرني عن الذاريات ذروا ، فقال رضي الله عنه : هي الرياح ، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ماقلته . قال : فأخبرني عن المقسمات أمراً ، قال رضي الله عنه : هي الملائكة ، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ماقلته ، قال : فأخبرني عن الجاريات يسراً ، قال رضي الله عنه : هي السفن ، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ماقلته . ثم أمر بضربه فضرب مائة وجعل في بيت ، فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب الى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : امنع الناس من مجالسته ، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى رضي الله عنه ، فحلف بالايمان المغلظة مايجد في نفسه مما كان يجد شيئاً ، فكتب في ذلك إلى عمر رضي الله عنه ، فكتب عمر : ماإخاله إلا قد صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس . قال أبو بكر البزار : فأبو بكر بن أبي سبرة لين ، وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث . قلت : فهذا الحديث ضعيف رفعه وأقرب مافيه أنه موقوف على عمر رضي الله عنه ، فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رضي الله عنه ، وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتاً وعناداً ، والله أعلم . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة ، وهكذا فسرها ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ، ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد ، ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك ، وقد قيل ان المراد بالذاريات الريح كما تقدم ، وبالحاملات وقراً السحاب كما تقدم ، لأنها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمت نفسي لمن أسلمت لـه المـزن تحمـل عـذبـاً زلالا

فأما الجاريات يسراً فالمشهور عن الجمهور كما تقدم انها السفن ، تجري ميسرة في الماء جرياً سهلاً ، وقال بعضهم : هي النجوم تجري يسراً في أفلاكها ليكون ذلك ترقياً من الأدنى الى الأعلى الى ما هو أعلى منه ، فالرياح فوقها السحاب ، والنجوم فوقه كذلك ، والمقسمات أمراً الملائكة فوق ذلك تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية ، وهذا قسم من الله عز وجل على وقوع المعاد ، ولهذا قال تعالى : ﴿إنما توعدون لصادق﴾ أي لخبر صدق ﴿وإن الدين﴾ وهو الحساب ﴿لواقع﴾ أي لكائن لا محالة .

ثم قال تعالى : ﴿والسماء ذات الحبك﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو صالح والسدي وقتادة وعطية العوفي والربيع بن أنس وغيرهم . وقال الضحاك والمنهال بن عمرو وغيرهما مثل تجعد الماء والرمل والزرع ، إذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضاً طرائق طرائق . فذلك الحبك . قال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال «إن من ورائكم الكذاب المضل ، وإن رأسه من ورائه حبكاً حبكاً» يعني باحبك الجعودة . وعن أبي صالح : ذات الحبك الشدة وقال خصيف : ذات الحبك ذات الصفاقة . وقال الحسن بن أبي الحسن البصري : ذات الحبك حبكت بالنجوم . وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿والسماء ذات الحبك﴾ يعني السماء السابعة ، وكأنه والله أعلم أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة ، وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع ، والله أعلم .

وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء متسعة الأرجاء أنيقة البهاء ، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزهرات . وقوله تعالى : ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ أي إنكم أيها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مختلف مضطرب لايلتئم ولايجتمع ، وقال قتادة : إنكم لفي قول مختلف مابين مصدق بالقرآن ومكذب به . ﴿يؤفك عنك من أفك﴾ أي إنما يروج على من هو ضال في نفسه ، لأنه قول باطل إنما ينقاد له ويضل بسببه ، ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غمر لافهم له كما قال تعالى : ﴿فإنكم وماتعبدون ماأنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ يضل عنه من ضل . وقال مجاهد ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ يؤفن عنه من أفن ، وقال الحسن البصري : يصرف عن هذا القرآن من كذب به . وقوله تعالى : ﴿قتل الخراصون﴾ قال مجاهد : الكذابون ، قال : وهي مثل التي في عبس ﴿قتل الإنسان ماأكفره﴾ والخراصون الذين يقولون لانبعث ولايوقنون . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿قتل الخراصون﴾ أي لعن المرتابون . وهكذا كان معاذ رضي الله عنه يقول في خطبته . هلك المرتابون . وقال قتادة : الخراصون أهل الغرة والظنون . وقوله تبارك وتعالى : ﴿الذين هم في غمرة

ساهون﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد في الكفر والشك غافلون لاهون ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ وإنما يقولون هذا تكذيباً وعناداً وشكاً واستبعاداً ، قال الله تعالى : ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد يفتنون يعذبون . قال مجاهد كما يفتن الذهب على النار ، وقال جماعة آخرون كمجاهد أيضاً وعكرمة وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم وسفيان الثوري : يفتنون يحرقون ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ قال مجاهد : حريقكم ، وقال غيره : عذابكم ﴿هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾ أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً ، والله أعلم .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى مخبراً عن المتقين لله عز وجل أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ماأولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال . وقوله تعالى : ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ قال ابن جرير : أي عاملين بما أتاهم الله من الفرائض ﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾ أي قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال أيضاً ، ثم روي عن ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي عمر عن مسلم البطين ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿آخذين ماآتاهم ربهم﴾ قال : من الفرائض ﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾ قبل الفرائض يعملون ، وهذا الإسناد ضعيف ولايصح عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وقد رواه عثمان بن أبي شيبة عن معاوية بن هشام عن سفيان ، عن أبي عمر البزار عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره ، والذي فسر به ابن جرير فيه نظر ، لأن قوله تبارك وتعالى آخذين حال من قوله في جنات وعيون ، فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذين ماآتاهم ربهم ، أي من النعيم والسرور والغبطة ، وقوله عز وجل . ﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ أي في الدار الدنيا ﴿محسنين﴾ كقوله جل جلاله ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ ثم إنه تعالى بين إحسانهم في العمل فقال جل وعلا ﴿كانوا قليلاً من الليل مايهجعون﴾ اختلف المفسرون في ذلك على قولين : [أحدهما] أن ﴿ما﴾ نافية تقديره كانوا قليلاً من الليل لايهجعونه ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئاً ؛ وقال قتادة عن مطرف بن عبد الله : قلّ ليلة لا تأتي عليهم إلا يصلون فيها لله عز وجل ، إما من أولها وإما من أوسطها . وقال مجاهد : قل مايرقدون ليلة حتى الصباح لايتهجدون ، وكذا قال قتادة ، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه وأبو العالية : كانوا يصلون بين المغرب والعشاء . وقال أبو جعفر الباقر كانوا لاينامون حتى يصلوا العتمة ، [والقول الثاني] أن ﴿ما﴾ مصدرية تقديره كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم ، واختاره ابن جرير .

وقال الحسن البصري ﴿كانوا قليلاً من الليل مايهجعون﴾ كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله ، ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر ، وقال قتادة : قال الأحنف بن قيس ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ كانوا لا ينامون إلا قليلاً ثم يقول : لست من أهل هذه الآية . وقال الحسن البصري : كان الأحنف بن قيس يقول عرضت عملي على عمل أهل الجنة ، فإذا قوم قد باينونا بوناً بعيداً ، إذا قوم لانبلغ أعمالهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وعرضت عملي على عمل أهل النار ، فإذا قوم لا خير فيهم مكذبون بكتاب الله وبرسل الله ، مكذبون بالبعث بعد الموت ، فقد وجدت من خيرنا منزلة قوماً خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رجل من بني تميم لأبي : ياأبا أسامة صفة لاأجدها فينا ذكر الله تعالى قوماً فقال ﴿كانوا قليلاً من الليل مايهجعون﴾ ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم ، فقال له أبي رضي الله عنه : طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ . وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه ، فكنت فيمن انجفل ، فلما رأيت وجهه ﷺ عرفت أن وجهه

ليس بوجه رجل كذاب ، فكان أول ماسمعته ﷺ يقول : «ياأيها الناس أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وأفشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها» فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : لمن هي يارسول الله ؟ قال ﷺ «لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات لله قائماً والناس نيام» وقال معمر في قوله تعالى ﴿كانوا قليلاً من الليل مايهجعون﴾ كان الزهري والحسن يقولان كانوا كثيراً من الليل مايصلون ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وإبراهيم النخعي ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ ما ينامون . وقال الضحاك ﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً﴾ ثم ابتدأ فقال ﴿من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون﴾ وهذا القول فيه بعد وتعسف .

وقوله عز وجل ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ قال مجاهد وغير واحد : يصلون . وقال آخرون : قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار كما قال تبارك وتعالى ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ فان كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن . وقد ثبت في الصحيح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، عن رسول الله ﷺ أنه قال «إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجر» وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى إخباراً عن يعقوب أنه قال لبنيه ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾ قالوا أخرهم إلى وقت السحر .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال ﴿وفي أموالهم حق﴾ أي جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم . أما السائل فمعروف وهو الذي يتدىء بالسؤال ، وله حق كما قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى ، عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «للسائل حق وإن جاء على فرس» ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به . ثم أسنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وروي من حديث الهرماس بن زياد مرفوعاً ، وأما المحروم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد : هو المحارف الذي ليس في الإسلام سهم ، يعني لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها ، وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : هو المحارف الذي لايكاد يتيسر له مكسبه ، وقال الضحاك : هو الذي لايكون له مال إلا ذهب ، قضى الله تعالى له ذلك . وقال أبو قلابة : جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل ، فقال رجل من الصحابة رضي الله عنهم : هذا المحروم وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي ونافع مولى ابن عمر رضي الله عنها وعطاء بن أبي رباح : المحروم المحارف . وقال قتادة والزهري : المحروم الذي لايسأل الناس شيئاً .

قال الزهري وقد قال رسول الله ﷺ «ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه» وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحهما من وجه آخر . وقال سعيد بن جبير : هو الذي يجيء وقد قسم المغنم فيرضخ له . وقال محمد بن إسحاق : حدثني بعض أصحابنا قال : كنا مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في طريق مكة ، فجاء كلب ، فانتزع عمر رضي الله عنه كتف شاة فرمى بها إليه وقال : يقولون إنه المحروم ، وقال الشعبي : أعياني أن أعلم ما المحروم ، واختار ابن جرير أن المحروم الذي لا مال له بأي سبب كان وقد ذهب ماله ، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها . وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا ، فجاءه قوم لم يشهدوا الغنيمة ، فنزلت هذه الآية ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ وهذا يقتضي أن هذه مدنية وليس كذلك بل هي مكية شاملة لما بعدها ، وقوله عز وجل ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار ، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى ، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة ، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج اليه فيه ، ولهذا قال عز وجل ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ قال قتادة : من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة .

ثم قال تعالى : ﴿وفي السماء رزقكم﴾ يعني المطر ﴿وما توعدون﴾ يعني الجنة ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد . وقال سفيان الثوري : قرأ واصل الأحدب هذه الآية ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ فقال : ألا

أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض ؟ فدخل خربة فمكث ثلاثاً لا يصيب شيئاً ، فلما أن كان في اليوم الثالث إذا هو بدوخلة من رطب ، وكان له أخ أحسن نية منه ، دخل معه فصارتا دوخلتين ، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت وقوله تعالى : ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة ، وهو حق لا مرية فيه ، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون ، وكان معاذ رضي الله عنه إذا حدث بالشيء يقول لصاحبه : إن هذا لحق كما أنك ههنا ؛ قال مسدد عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن البصري قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال «قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا» ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن فذكره مرسلاً .

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

هذه القصة قد تقدمت في سورة هود والحجر أيضاً فقوله ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ أي الذين أرصد لهم الكرامة ، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء الى وجوب الضيافة للنزيل ، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل . وقوله تعالى : ﴿قالوا سلاماً قال سلام﴾ الرفع أقوى وأثبت من النصب ، فرده أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى : ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردها﴾ فالخليل اختار الأفضل ، وقوله تعالى : ﴿قوم منكرون﴾ وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال ﴿قوم منكرون﴾ وقوله عز وجل ﴿فراغ إلى أهله﴾ أي انسل خفية في سرعة ﴿فجاء بعجل سمين﴾ أي من خيار ماله ، وفي الآية الأخرى ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ أي مشوي على الرضف ﴿فقربه اليهم﴾ أي أدناه منهم ﴿قال ألا تأكلون ؟﴾ تلطف في العبارة وعرض حسن ، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فانه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ، ولم يمتن عليهم أولا فقال : نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء ، وأتى بأفضل ما وجد من ماله ، وهو عجل فتي سمين مشوي ، فقربه اليهم لم يضعه وقال اقتربوا ، بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال ﴿ألا تأكلون﴾ على سبيل العرض والتلطف ، كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل .

وقوله تعالى : ﴿فأوجس منهم خيفة﴾ هذا محال على ما تقدم في القصة في السورة الأخرى وهي قوله تعالى : ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا : لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت﴾ أي استبشرت بهلاكهم لتمردهم وعتوهم على الله تعالى ، فعند ذلك بشرتها الملائكة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قالت يا ويلتا ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً ؟ إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى ههنا ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ فالبشارة له هي بشارة لها . لأن الولد منهما فكل منهما بشر به . وقوله تعالى : ﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾ أي في صرخة عظيمة ورنة ؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدي وهي قولها ﴿يا ويلتا﴾ ﴿فصكت وجهها﴾ أي ضربت بيدها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لطمت أي تعجباً كما تتعجب النساء من الأمر الغريب ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ أي كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيماً لا أحبل ؟ ﴿قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم﴾ أي عليم بما تستحقون من الكرامة حكيم في أقواله وأفعاله .

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ

ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

قال الله تعالى مخبراً عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط * إن إبراهيم لحليم منيب * يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ وقال ههنا ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أي ما شأنكم وفيم جئتم ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ يعنون قوم لوط ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة﴾ أي معلمة ﴿عند ربك للمسرفين﴾ أي مكتتبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه . فقال في سورة العنكبوت ﴿قال إن فيها لوطاً ، قالوا : نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ قال تعالى ههنا ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين﴾ وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ احتج بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام ، لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين ، وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين ، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال ، ولا يلزم ذلك في كل حال ، وقوله تعالى : ﴿وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ أي جعلناها عبرة لما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل ، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة ، ففي ذلك عبرة للمؤمنين ﴿الذين يخافون العذاب الأليم﴾ .

وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ
فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى : ﴿وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾ أي بدليل باهر وحجة قاطعة ﴿فتولى بركنه﴾ أي فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً . وقال مجاهد : تعزز بأصحابه . وقال قتادة : غلب عدو الله على قومه ، وقال ابن زيد ﴿فتولى بركنه﴾ أي بجموعه التي معه ثم قرأ ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ والمعنى الاول قوي كقوله تعالى : ﴿ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله﴾ أي معرض عن الحق مستكبر ﴿وقال ساحر أو مجنون﴾ أي لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحراً أو مجنوناً قال الله تعالى : ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم﴾ أي ألقيناهم ﴿في اليم﴾ وهو البحر ﴿وهو مليم﴾ أي وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند .

ثم قال عز وجل ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ أي المفسدة التي لا تنتج شيئاً قاله الضحاك وقتادة وغيرهما ولهذا قال تعالى : ﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾ أي مما تفسده الريح ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ أي كالشيء الهالك البالي ، وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي عبد الله بن وهب ، حدثني عبد الله يعني ابن عياش الغساني ، حدثني عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «الريح مسخرة من الثانية يعني من الأرض الثانية ـ ، فلما أراد الله تعالى أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً قال أي رب أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور ؟ قال له الجبار تبارك وتعالى لا إذاً تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله عز وجل في كتابه ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ هذا الحديث رفعه منكر والأقرب أن يكون موقوفاً على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك ، والله اعلم . قال سعيد بن المسيب وغيره في قوله تعالى : ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ قالوا : هي الجنوب . وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» . ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ قال ابن جرير : يعني إلى وقت فناء آجالكم . والظاهر ان هذه كقوله تعالى : ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى

فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ وهكذا قال ههنا ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون﴾ وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أي من هرب ولا نهوض ﴿وما كانوا منتصرين﴾ أي لا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه . وقوله عز وجل ﴿وقوم نوح من قبل﴾ أي وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ وكل هذه القصص قد تقدمت مبسوطة في أماكن كثيرة من سور متعددة ، والله تعالى أعلم .

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

يقول تعالى منبها على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿والسماء بنيناها﴾ أي جعلناها سقفاً محفوظا رفيعاً ﴿بأيد﴾ أي بقوة ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد ﴿وإنا لموسعون﴾ أي قد وسعنا أرجاءها فرفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي ﴿والأرض فرشناها﴾ أي جعلناها فراشاً للمخلوقات ﴿فنعم الماهدون﴾ أي وجعلناها مهداً لأهلها ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ أي جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض وليل ونهار ، وشمس وقمر وبر وبحر وضياء وظلام ، وايمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة وجنة ونار ، حتى الحيوانات والنباتات ، ولهذا قال تعالى : ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي لتعلموا ان الخالق واحد لا شريك له ﴿ففروا الى الله﴾ أي الجأوا اليه واعتمدوا في أموركم عليه ﴿إني لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾ أي لا تشركوا به شيئاً ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ .

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى مسلياً لنبيه ﷺ وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون لرسلهم : ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ قال الله عزو جل ﴿أتواصوا به ؟﴾ أي أوصى بعضهم بعضاً بهذه المقالة ﴿بل هم قوم طاغون﴾ أي لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم ، فقال متأخرهم كما قال متقدمهم . قال الله تعالى : ﴿فتول عنهم﴾ أي فأعرض عنهم يا محمد ﴿فما أنت بملوم﴾ يعني فما نلومك على ذلك ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ أي إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة ، ثم قال جل جلاله ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لإحتياجي إليهم . وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ﴿إلا ليعبدون﴾ أي إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً . وهذا اختيار ابن جرير الا ليعرفون ، وقال الربيع بن انس ﴿إلا ليعبدون﴾ أي إلا للعبادة ، وقال السدي : من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك ، وقال الضحاك : المراد بذلك المؤمنون .

وقوله تعالى : ﴿ما أريد من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا : حدثنا اسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن زيد ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أقرأني رسول الله ﷺ ﴿إني أنا الرزاق ذو القوة المتين﴾ ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث اسرائيل ، وقال الترمذي : حسن صحيح . ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب . وأخبر أنه غير محتاج اليهم بل هم الفقراء اليه في جميع أحوالهم . فهو

خالقهم ورازقهم . قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا عمران ـ يعني ابن زائدة بن نشيط ابيه عن أبي خالد ـ هو الوالبي ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ـ يعني قال الله تعالى ـ «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك» ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث عمران بن زائدة ، وقال الترمذي : حسن غريب .

وقد روى الامام احمد عن وكيع وأبي معاوية عن الأعمش عن سلام بن شرحبيل : سمعت حبة وسواء ابني خالد يقولان : أتينا رسول الله ﷺ وهو يعمل عملاً أو يبني بناء ، قال أبو معاوية : يصلح شيئاً ، فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال «لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه» . وقد ورد في بعض الكتب الإلهية : يقول الله تعالى : ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب ، وتكفلت برزقك فلا تتعب فاطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء ، انا احب إليك من كل شيء . وقوله تعالى : ﴿فإن للذين ظلموا ذنوبا﴾ أي نصيباً من العذاب ﴿مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون﴾ أي فلا يستعجلون ذلك فإنه واقع لا محالة ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ يعني يوم القيامة .

آخر تفسير سورة الذاريات ولله الحمد والمنة .

سُورَةُ الطُّورِ

ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

قال مالك عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه ، أخرجاه من طريق مالك . وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة قالت : شكوت إلى رسول الله أني أشتكي فقال «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة» فطفت ورسول الله يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾
أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه ، وأنه لا دافع عنهم ، فالطور هو الجبل الذي يكون فيها أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى ، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً إنما يقال له جبل ﴿وكتاب مسطور﴾ قيل : هو اللوح المحفوظ ، وقيل : الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً ولهذا قال ﴿في رق منشور * والبيت المعمور﴾ ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الاسراء بعد تجاوزته إلى السماء السابعة «ثم رفع بي إلى البيت المعمور ، وإذا هم يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم» يعني فيه ويطوفون به كما